المحاكمة بين الشيخية وخصومهم
(٢)

بقلم العلامة الشيخ عبد الكريم رضا

قد تكون العوامل الموجبة لانقسام الفرقة الدينية الواحدة الى فرقتين دينيتين يلعن بعضها بعضاً ويتبرء بعضهم من بعض ناتجة عن اختلاف في الآراء والافكار والاجتهادات وقد تكون ناتجة عن المخادعة وحب الرياسة والسيطرة على العامة ولابد من الاشارة الى آراء ومعتقدات الشيخية وخصومهم ليكتشف القارئ من ذلك الاسباب التي ادت الى هذه التفرقة التي استمرت الى يومنا هذا .

ان العلوم الشرعية المستمدة من الكتاب والسنة هي علم الاخلاق وعلم الفقه وعلم العقائد ولاخلاف بين الشيخية وخصومهم في علم الاخلاق وكذا لاخلاف بينهم في علم الفقه فان طريقة فقهائهم الى معرفة الفروع الفقهية العملية كطريقة سائر فقهاء الشيعة الامامية ويظهر ان طريقة شيخ احمد زين الدين في استنباط الاحكام الشرعية الفرعية هي طريقة الاصوليين من الشيعة كما يظهر ان طريقة محمد كريم خان هي طريقة الاخباريين من الشيعة المقتصرين على الروايات المنصوصة ولايريدون تكثير الفروع باستنباطها من عمومات الكتاب والسنة اومن الاصول والقواعد العامة واما علم العقائد فهو مورد الخصومة وربما يتضح للقارئ مما سنذكره انه لاخلاف بينهم ايضا في المعتقدات يوجد في كلتا الطائفتين من الشيخية وخصومهم صنفان من اهل العلم احدهما صنف الفلاسفة الاسلاميين الذين يحاولون ان يوصلوا بين الدين والفلسفة والصنف الثاني اهل الظاهر وهم اعداء الفلاسفة .

ان الفلاسفة من كلا الفريقين تتقارب آراؤهم ومعتقداتهم فالاعتقاد بالسماء والعالم والعرش والكرسي والعقول والارواح والملائكة والجن والشياطين والحقيقة المحمدية وولاية اهل البيت والمعراج والمعاد وصفات الله واسمائه بمعانيها التي تقصدها الفلاسفة مشترك بين فلاسفة الشيخية وفلاسفة خصومهم ولاتوجد بين الفلاسفة خلافات الا في بعض الفروع الفلسفية التي لاعلاقة لها بالدين مثل اصالة الوجود او الماهية واكثر خلافات شيخ احمد

ذلك من قواعد الملك . ثم قال عن عمر بن عبدالعزيز انه تولاها بنفسه لما زاد ظلم الولاة وجور النواب فجعل يراعي السنن العادلة حتى قيل له وهو يشدد عليهم انا نخاف عليك العواقب من ردها فقال مامن يوم اخافه واتقيه غير يوم القيامة الا وقيته وقال عن الملك نور الدين بن الزنكي انه قد بنى له داراً في قلعة دمشق تحاذيها دار العدل حيث كان يجلس فيها فيتصفح قصص المظلومين ويفصل بين امر المتنازعين ولديه الفقهاء وائمة الدين ثم قال ايضا وحدثني الفقيه ابو طاهر ابراهيم بن الحصين الحموي قال كنت عند الملك العادل محمود بن الزنكي في دار العدل بدمشق وقد عرض عليه قصص خراج املاك اهل الشام فجعل ينظر فيها فلما انتهى الى ذكر خراج معرة النعمان قال : اني قد عزمت على انتزاع املاك اهل المعرة من ايديهم فقد رفع الي اهل الخبرة من الثقات ان جميع اهل المعرة يتعرضون للشهادة فيشهد احدهم لصاحبه في دعوي ملك حتى يشهد ذلك معه في دعوى اخرى وان الملك الذي بايديهم انما حصل لهم بهذه الطريقة قال فقلت ايها الملك ان الله تعالى اوجب اوجب عليك العدل في رعيتك والنظر بالكشف والتوقف في الأمور اذا رفعت اليك فان أهل المعرة خلق كثير يستحيل تواطؤهم على شهادة الزور وانتزاع الاملاك من اربابها بمجرد هذا القول لايجوز . قال ثم فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال امسكها عليهم ثم كشف عنها بعد ذلك والتفت الى كاتبه وقال اكتب كتابا الى القاضي والوالي في المعرة ليمسك جميع الملك الذي في ايدي اهله حتى يستدعي البينة . فكتب ووضع بين يديه ليضع علاماته فيه واذا صبي على شاطئ النهر يغني شعرا : -

اعدلوا ما دام امركمو نافذا في النفع والضرر .
واحفظوا ايام دولتكم انكم منها على خطر
انما الدنيا وزينتها طيب مايبقى من الاثر

فلما سمع الملك ذلك تغير لونه وهملت عيناه بالدموع ثم تناول الكتاب فخرقه وجعل يستغفر الله جميع ذلك اليوم .

بغداد — يوسف يعقوب متكوبي .

زين الدين مع الفلاسفة لفظية لاعلاقة لها بالاراء والمعتقدات الدينية .

واما اهل الظاهر من الفريقين اعني الشيخية وخصومهم فهم يرفضون الاراء الفلسفية ويمقتون من يعتنقها واهل الظاهر من الشيخية ينزهون زعمائهم ومشايخهم عن الاراء الفلسفية لانهم لايفهمون رموزهم ولايعلمون مقاصدهم مع حسن ظنهم بهم وعلى كل حال فاهل الظاهر لايشاركون الفلاسفة في معتقداتهم

وكما ان فلاسفة الفريقين يتقاربون في اراآئهم ومعتقداتهم فكذلك اهل الظاهر يتحدون او يتقاربون في اراآئهم ومعتقداتهم ومع هذا التقارب تراهم يتراشقون السباب والطعن والتكفير مخادعين اومخدوعين .

ان اشهر ماوقع فيه الخلاف بين اهل الظاهر هو مسألة الغلو في اهل البيت (ع) ومسألة الركن الرابع فان خصوم الشيخية يرمونهم بالغلو والشيخية ينسبون الى خصومهم التقصير في حق اهل البيت (ع) مع ان معتقدات كلا الفريقين في اهل البيت متقاربة فان خصوم الشيخية يصدقون بما في البحار ومدينة المعاجز وتفسير البرهان وغيرها من معاجز هل البيت وكراماتهم وفضائلهم وخصائصهم وصفاتهم وسبق انوارهم فيما ينقله صاحب البحار عن تفسير الفرات او تفسير العياشي اوتفسير علي بن ابراهيم او عن بصائر الدرجات او عن فضائل شاذان اوارشاد الديلمي اوكتاب سليم بن قيس اواحتجاج الطبرسي اوالخرائج والجرائح وامثالها من الكتب المشتملة على فضائل اهل البيت يتلى على المنابر ويتلقى بالقبول واراء المجلسي والتوبلي والبهبهاني وامثالهم في الاراآء الشائعة بين خصوم الشيخية وهي نفس آراء ومعتقدات الشيخية في اهل البيت (ع) قال المجلسي في اوائل المجلد الاول من البحار (ان اكثر ماثبته الفلاسفة للعقول قد ثبت لارواح النبي ص والائمة ع فانهم اثبتوا لهم القدم وقد ثبت انتقدم في الخلق لارواح النبي ص والائمة ع واثبتوا لها التوسط في الايجاد وقد ثبت في الاخبار ان النبي ص والائمة ع علة غائية لجميع المخلوقات وانه لولاهم لما خلق الله الافلاك وغيرها واثبتوا كونها وسائط في افاضة العلوم والمعارف على النفوس والارواح وقد ثبت في الاخبار ان جميع العلوم والحقائق والمعارف تفيض على الخلق ، حتى الملائكة والانبياء بتوسط اهل البيت وثبت ان

اهل البيت هم الوسائل بين الحق وبين الخلق في افاضة جميع الرحمات والعلوم والكمالات على جميع الخلق وكلما يكون التوسل والاذعان بفضلهم اكثر كان فيض الكمالات من الله اكثر وبور النبي ص الذي انشعبت منه انوار الائمة مع محل للمعارف الغير المتناهية) هذا كلام المجلسي فهل يظن خصوم الشيخية ان عقائد الشيخية في اهل البيت اكثر ارتفاعا من عقائد المجلسي

وقال البهبهاني في التعليقة عند ترجمة اسحق الاحمر (طعنوا فيه لانه يروي عن المفضل ان الائمة ع يقدرون ارزاق العباد ومثل هذا الاعتقاد في زماننا لايعدونه من الغلو ولكن كثيراً من القدماء كانوا يعدون هذا وما هو ادون منه من الغلو)

ان البهبهاني هو زعيم خصوم الشيخية وشيخ مشايخهم والشيخ احمد زين الدين رئيس الشيخية معاصر له فاذا كان البهبهاني ينقل عن اهل زمانه انهم لا يعدون هذا الاعتقاد غلواً فاذا خولفت هذه السيرة مع الشيخية واذا كان البهبهاني يشهد على اهل زمانه بانهم لايعدون هذا الاعتقاد غلواً فعلى اي شيء نحمل ماصدر منهم مع الشيخية

ان لكثير من خصوم الشيخية اشعاراً في اهل البيت يكتشف مشاركتهم مع الشيخية في اراآئهم ومعتقداتهم باهل البيت ع فمن ذلك ما قاله السيد صدر الدين العاملي والتشطير للشيخ عبد الحسين آل الشيخ اسد الله الكاظمي شارح الكفاية

(علي بشطر صفات الاله) خصصت وغيري يرى الكل لك
فتسييرك الفلك مما به حبيت وفيك يدور الفلك
(ولما اراد الاله المثال) لقدسي اوصافه شكلك
ولما قضى ان تكون الدليل (لنفي المثيل له مثلك)

وقال السيد القزويني

اباحسن انت عين الاله على الخلق والاذن الواعيه
تراهم وتسمع نجواهم فهل عنك تعزب من خافيه
وانت مدير رحى الكائنات وقطب لافلاكها الجاريه
وانت الذي امم الانبياء تؤمك في الاعصر الخاليه
وكل الخلائق يوم النشور لديك اذا حشرت جائيه
فان شئت تشفع يوم الحساب وان شئت تسفع بالناصيه

وفي كل يوم تتلى على المنابر الروايات والاشعار بحضور الخاصة والعامة وهي تؤكد القرابة القريبة بين الشيخية وخصومهم

في الاعتقاد باهل البيت «ع» فلماذا تستمر هذه المنافرة والخصومة بينهما مع هذه القرابة .

واما مسئلة الركن الرابع فخصوم الشيخية ينسبون اليهم انهم يدعون انه لابد في كل زمان من شخص ظاهر غير امام الزمان الغائب يكون عالماً بكل ما يحتاج اليه الناس تكون له الوساطة بين امام الزمان ورعيته ويجب على جميع اهل العلم دعوة الخلق اليه وليس لغيره من اهل العلم ان يتصدي الامور العامة الابامره وسموه بالناطق والنائب الخاص والقطب والركن الرابع وقد انكروا عليهم ذلك حيث ان الاخبار قد دلت على الرجوع في زمن الغيبة الى كل عالم تقي ممن روى حديثهم «ع» والشيخية يحصرون التقليد في رجل واحد وهو الركن الرابع وهو قطب الزمان .

وكما ان خصوم الشيخية قد انكروا عليهم هذه العقيدة فقد انكرها الميرزا موسى التركي الشيخي الساكن في كربلا في كتابه (احقاق الحق) ونزه عنها شيخ احمد زين الدين والسيد كاظم الرشتي وزعم انها من ارآء ومعتقدات محمد كريم خان خاصة وليست من عقائد عموم الشيخية بل ان بعض اتباع محمد كريم خان انكر نسبة هـــذه العقيده الى الشيخية حذراً من التشنيع عليهم والتشهير بهم ولكن خصوم الشيخية وميرزا موسى التركي الشيخي قد نقلوا عن بعض كتب ورسائل محمد كريم خان كلمات بعضها ظاهره وبعضها صريحة في صحة نسبة هذه العقيدة اليه فان صحت نسبة هذا الامر الى عموم الشيخية او الى خصوص محمد كريم خان فلاتستلزم الطعن فيهم ولاتوجب التفرقه والانقسام لان هذه العقيده قريبة من ارآء اكثر علماء الشيعة الامامية وهم الذين يرون وجوب الرجوع الى الاعـــلم الاورع من الفقهاء في التقليد وفي القضاء وفصل الخصومات وفي الولايات وسائر الامور العامة فان حصر الرجوع في الاعلم الاورع لازمه الحصر في شخص واحد من بين سائر العلماء والفقهاء فعقيدة وجوب الرجوع الى الاعلم مماثلة لعقيدة وجوب الرجوع الى الركن الرابع او القطب واذا كان الجميع متفقين على هذا الرآي فبماذا نعلل هذا الافتراق وهذا التباين الحاصل بين الشيخية وخصومهم .

ان من يحاول الرد على الشيخية كما فعل السيد مهدي البصري يتحتم عليه ان لايخلط بين فلاسفتهم واهل الظاهر منهم فان اهل الظاهر من الشيخية لايشاركون الفلاسفة في معتقداتهم وآرائهم ولايختلفون في معتقداتهم من السيد مهدي البصري وامثاله الا في حسن الظن بالشيخ احمد زين الدين والسيد الرشتي ومحمد كريم خان ونسبة معتقدات فلاسفتهم الى اهل الظاهر منهم بهتان وافتراء محض .

واذا حاول شخص الرد على فلاسفتهم فيتحتم عليه اولا ان يعرف ارآء ومعتقدات سائر فلاسفة الشيعة الامامية ويميز جهات الخلاف بينهم وبين فلاسفة الشيخية ثم يستعمل الرد على خصوص ماانفردت به فلاسفة الشيخية عن سائر فلاسفة الشيعة الامامية بعد بذل الجهد في فهم مقاصدهم ومصطلحاتهم

وكذا المؤرخ الذي يحاول تاريخ الشيخية يتحتم عليه حينما يحاول ان يذكر معتقداتهم ان لايخلط بين معتقدات فلاسفتهم واهل الظاهر منهم . واذا اراد شرح آراء ومذاهب فلاسفتهم فعليه ان يشرح ارآء سائر فلاسفة الشيعة الامامية حتى لايتوهم الجاهل ان هذه الاراء الفلسفية من مختصات الشيخية، واذا تعرض للجهات التي يستمد منها فلاسفه الشيخية فعليه ان يكشف للناس انها نفس الجهات التي يستمد منها سائر فلاسفة الشيعة واذا اراد ان يشرح غلو الشيخية في الانسان الكامل فعليه ان يوضح ان هذا الغلو عام لكل من حاول الجمع بين الدين والفلسفة الافلاطونية الحديثة فان غلو اصحاب الطرق الصوفية كالقادرية والرفاعية والشاذلية في زعماء طرقهم اشد من غلو الشيعة في اهل البيت (ع) وقد اوضحنا ذلك فيما كتبناه في مجلة الحكمة المعطلة التي كانت تصدر في الحله .

قد يزعم بعض المخادعين اوالمخدوعين ان في الرد على الشيخية فائدة تنفير عوامهم عن تقليد فلاسفتهم في المسائل الفقهية وهذه مغالطة فان اكثر الشيعة يرجعون في تقليدهم الى فقهاء فلاسفة والغالب على الفقهاء العظام دراسة الفلسفة واعتناق ارآء ومعتقدات اصحابها بل ان بعض الفقهاء الذين ترجع اليهم الناس في التقليد وفي الامور العامة كصاحب الكفاية وشارحها الاصفهاني يعدون من الفلاسفة المتوغلين في الفلسفة وان لم يصنفوا فيها الكتب لاشتغالهم عنها بالفقه واصوله فلماذا تكفر الشيخية لاجل تنفيرهم عن تقليد الفلاسفة في المسائل الفقهية ولاتكفر غيرهم من الشيعة الذين يرجعون في تقليدهم الى الفقهاء الفلاسفة .

الحق عبد الكريم رضا